النشاط الثقافي في العالم

فرنسا

رسالة من بدرالدين عرودكي

باريس : مذاق الاكتشاف

في « المرة الاولى » دوما مذاق الاكتشاف . وهذه هي « مرتي الاولى » في أكثر من مجال ، فمن قبيل الظروف انني اكتب في « الآداب » للمرة الاولى ، في نفس الوقت الذي اكتب فيه من باريس وعن باريس الاولى ايضا .

ومذاق الاكتشاف هنا ينبعث من مصادر عديدة . لا بد لي أولا أن أعترف ان باريس كانت بالنسبة لي حلما ، ولم يتبدد هذا الحلم بعد ، مع أنني قد بت فيها . حلم ، تكونت صوره ومشاهده عبر سنين ، وبدأ أول ما بدأ ، فيما يتعلق بي على الاقل ، من عصفور توفيق الحكيم القادم من الشرق ، ومن زهرة عمره .. ايام صباه التي قضاها في هذه المدينة السحرية ، الساحرة والمسحورة ، والمبثوثة كلمات منعمة بالايحاء في كل صفحة ، بل في كل سطر من سطور كتبه على مدى اكثر من نصف قرن . ثم ترعرع على يدي سهيل ادريس ، في حيه اللاتيني ، تلك الصورة الروائية التي تابعناها بشغف تمتزج معه احلام اليقظة بالاماني ، بالتوق ، برغبة في حياة متفجرة اللحظات ، ثم عبر ترجمات سارتر ، سارتر القديم بالطبع ، في مسرحياته ورواياته ، وكتابات سيمون دي بوفوار في اجزاء مذكراتها .. ثم عبر مذكرات وذكريات عدد لا يحصى من الكتاب الذين تعمدوا في سنوات شبابهم الاولى في باريس : تغذوا من سحرها وغذوا مواهبهم به : همنغواي ، توماس وولف ، فوكنر ، دوس باسوس .. ومعظم ادباء امريكا الكبار في النصف الاول من هذا القرن ، ثم اخيرا وليس اخرا من السينما ، من صور باريس كما عكستها عينا اكثر من مخرج فرنسي .. باريس كما رآها اريك رومر وكلود شابرول وجان لوك غودان ودوشيه و .. و ... حلم تكون ببطء ، وتطور بانتظام ، من دقائق وتفاصيل يصعب على المرء حصر مصادرها في صفحة او صفحات ، لتغدو حقيقته ارسخ من حقيقة الواقع نفسه . فكيف يسعني ، وما زلت أحبو خطواتي الاولى على الشوارع التي ارتسمت في مخيلتي عبر سنوات وسنوات ، وتكاد عيناي من فرط رؤيتهما لها في الخيال أن ترفضا صورتها القائمة الآن : عيانا لا سبيل الى انكاره ، أقول : كيف يسعني ان اتخلص من وطأته وأن اتمكن بالتالي ، من رسم صورة جانب من واقع الحياة الثقافية في باريس على صفحة ليست بيضاء ، ولا استطيع في لحظات ، أن أمحو ما رسمته او طبعته سنوات العمر من تكوينات واشكال لها صلابة الواقع واكتفاؤه بنفسه ؟.

لغيري أن يحتفل بغير ذلك ، ولكني منذ اعددت عدتي لكتابة هذه الرسالة لـ « الآداب » ، وجدتني مشدودا الى مفارقة حلم باريس هذا ، وربما كان حلم الكثيرين من أبناء جيلي أيضا . والحق ان رؤية باريس من الوهلة الاولى لا بد ان تكون مزيجا من الحلم والواقع معا . فلم تطأ قدم انسان ، فيما يخيل الي ،وفيما رأيت من حولي من أناس قدموا اليها من جهات الرياح الاربع ، ارض باريس خالي الذهن من فكرة او صورة عنها .. ولنقل ان لكل حلمه عنها ، والا فكيف يسعنا ان ندرك معنى كلمات المخرج الايطالي برناردو برتولوتشي الى كوليت غودار في « اللموند » من أنه اخرج فيلمه الجديد « تانغو أخير في باريس » لكي يقضي أربعة اشهر في باريس ؟.

« تانغو أخير في باريس ؟. ولكني أكاد أقفز الى نهاية الرسالة ولما ابدأ بعد . ثمة سبب لذلك على كل حال . فاذا كان برتولوتشي قد أخرج فيلمه هذا لكي يعيش في باريس اربعة اشهر ، فلا بد ان باريس ما تزال تلك المدينة التي حجت اليها المواهب من كل مكان ، ولا بد ان باريس ما تزال مختفية وراء تلك الصورة التي تبدو بها اليوم : مدينة تستحيل الحياة فيها من فرط الضوضاء ، من فرط الغلاء ، من فرط الامركة التي بدأت تطبعها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية !.

سمعت الكثير من عشاقها يقولون : أين باريس الخمسينات من باريس السبعينات ؟. ولا بد ان هناك اخرين كانوا قد تساءلوا أيضا في الخمسينات ، يوم كانت صور سارتر تملأ الجدران وكتبه تتصدر واجهات المكاتب .. أين باريس الامس من باريس اليوم ؟.. باريس العشرينات .. باريس .. باريس !. أو ليست هي دوما اسطوانة العصر الذهبي ؟

مزيج من الحلم والواقع ؟!. نعم . هذا ما اعترفت به من قبل . والوسيلة الوحيدة للتخلص من مفارقة الحلم التي بدأت الحديث عنها ان انتقل الى النقيض المباشر لها ، او بالاحرى الى النقائض العديدة . تلك وسيلة لا بد منها قبل أن تضيع الحدود في حماة البحث عن عدسة لا تخطىء المسافات !.

« بضاعة » الثقافة :

ومع ذلك فان باريس تجبر زائرها على البقاء اسير منطقة الاحلام . ثمة صدمة كهربائية تصعق من الخطوة الاولى داخل الحرم الباريسي !. ولا بد للمرء ان يتسلح بحزام واق مصنوع من الاف الفرنكات كيلا يقع ضحية هذه الصدمة . ذلك القادم من المشرق العربي على سبيل المثال ، او من احد البلدان الاشتراكية ، لا بد له من مواجهة هذه الصدمة . ففي بلاده ، كان معتادا على دخول المعارض الفنية مجانا ، وعلى شراء الكتب واللوحات ورؤية الافلام السينمائية والعروض المسرحية بأسعار رمزية . هنا لا مجال للتعامل مع الرمز . فالثقافة بضاعة ،شأنها شأن انواع الجبنة الفرنسية او الفسالات الكهربائية . لها تاجرها وموزعها وناشرها ومستهلكها . وهي كذلك على أنواع تتفاوت في القيمة وفي الثمن . منها القيم ومنها المبتذل ، منها الضروري ومنها الكمالي ، منها الحقيقي ومنها المزيف . والبضاعة دوما لها ثمنها . وثمنها يتحدد وفق قانون السوق . والسوق مبنية على أسس لا تختلف في كثير عن أسس السوق الامريكية .. فالامركة نزعة سيطرت على اوربا الغربية ابتداء من النظام الاقتصادي ــ واين تكون البداية ؟ـ . فلكي تشهد معرضا لاحد الفنانين التشكيليين الذين خصصوا معظم اعمالهم الاخيرة للتعاطف مع القضية الفيتنامية لا بد ان تتخلى عن ثمن وجبة الغداء ، ولكي تقرأ آخر كتب مكسيم رودنسون عن «الماركسية والعالم الاسلامي » لا بد من أن تتنازل عن خمس وجبات !.

جمهور الثقافة اذن خاضع للتحديد وفق رغبات السوق . ومن يكون طالبا ــ مثلا ــ يخجل « بضم الياء » الشحاذ الذي يخطئه

احيانا ويطلب منه un Petit Franc فرنكا صغيرا يا سيدي ! » . ولا يبقى له بالتالي الا أن يتجول في دهاليز جامعته ، او مكتباتها ،باحثا عن كل شيء الا عن هذا النوع من البضاعة الذي لا يملك ثمنـــه : الثقافـة .

الثقافة في باريس اذن ، ولنقل في كل مجتمع رأسمالي ، ضحية النظام الاستهلاكي . وقد تحاول الضحية ان تتمرد احيانا على جلادها، فماذا تكون النتيجة ؟

في فيلم « اورانج ميكانيك Orange Mécanique لستانلي‌كوبريك محاولة من هذا النوع . محاولة لتصوير كافة ابعاد المجتمعات‌الاستهلاكية المعاصرة وبشكل خاص في امريكا . ومن خلال صورة بطل الفيلم«الاكس» يقدم كوبريك مركبا تمتزج فيه كافة عناصر هذا المجتمع وبشكل‌خلاصته. وهي خلاصة تمتزج فيها التناقضات : شاب يحب الى درجة العبادة موسيقى بيتهوفن ، وبشكل خاص سمفونيته التاسعة « الفـرح » . ولكن هذه الموسيقى ذاتها تدفعه ، اذا ما امتلكت عليه حواسه ، الى ارتكاب اقصى ما يمكـن ان يصل اليه الخيال البشري من جرائم فظيعة. وجهان لفتى واحد ، يبدو لنا تارة وديعا هادئا ، قد نشر صور بيتهوفن وتماثيله في كل مكان من غرفته الواسعة ، وهو يستمع الى نشيـد الفرح الالهي الذي غناه بيتهوفن لشيلر . ثم فجاة تنقبض مـلامح وجهه وتتقلص ، لكي تنبسط شيئا فشيئا وتعود سيرتها الاولى،ولكن، في جو آخر يختلف تماما عن الجو الاول . هذه المرة لسنا في غرفتـه بين ملامح بيتهوفن وصوت موسيقاه ، وانما امام امراة تغتصب بكل‌عنف أمام زوجها المقيد ، امام زوجها المكمم الفم ، العاجز حتى عن‌الصراخ الا من خلال ملامح وجهه المتفجر العروق ، ومن شرر عينيه الجاحظتين وقد أخذ في الانطفاء شيئا فشيئا . الشاب هو هو ، مع موسيقـاه أو مع ضحيته . ومن صنع الشاب في النهاية ؟.

من صنعه يحاول ان يعيد صنعه من جديد . وفي السجن يفـرغ من كل شيء : من ملابسه اولا ثم من ماضيه . وشيئا فشيئا يوضع في قالب جديد بعد ان اصبح عجينة قابلة لان تكون اي شيء . كان الشعار من قبل : مزيدا من الحرية لتحقيق السلام . ولا ضرورة لتغيير‌الشعار الان ما دام بالامكان صنع كل شيء حتى الانسان . ليبق كما هو ، وليمارس حريته ، ولكنه سيصاب من جراء ذلك بالغثيـان ، وسيكف من نفسه عن ارتكاب اي شيء يسيء الى هذا الشعار . ليبق كمـا هو اذن ، بعد أن تم خصيه سيشتهي المراة ، غير انه سيتقيأ ما ان يحاول لمسها . وستدفعه موسيقى بيتهوفن الى لحظة الحرية المطلقة، ولكنه لن يتمكن من ارتكاب اية جريمة او من ممارسة اي فعل سوى‌فعل واحد : الانتحـار .

محاولة اعادة صنعه ، كاية بضاعة في السوق ، كانت هي‌الاخرى لعبة سياسية لها دورها في ترجيح كفة السلطة القائمة .. ولكن مـاذا بعد ذلك ؟

لا شيء .. سوى أن عناصر الفيلم بمجموعهـا تحدث صدمـة كهربائية لدى المشاهد ، والمشاهد الاوروبي بوجه خاص . وهي‌صدمة سرعان ما تتلاشى لتتحول الى انبهار . فالفيلم قطعة فنية متكاملـة ولا شك ، ولكنها خاضعة لمتطلبات المجتمع الذي تتحدث عنه وتحـاول تعريته من حيث انها تتضمن ايضا كل عناصر الفيلم التجاري الناجـح في السبعينات وقد صنعها خيال جموح بذكاء لا حدود لطاقته .وهذه العناصر هي ذاتها التي تجعل من الفيلم قطعة فنية غنية وموحيـة. ولذلك يغدو الفيلم جزءا من الثقافة في المجتمـع الاستهلاكي الـذي يهاجمه .. جزءا لا ينفصل بحال عن الكل الذي يرفضه ، رغم محاولة رفضه البالغة الذكاء .

لم تشاهد باريس هذا الفيلم الا في منطقة واحدة . منطقة تكـاد تكون محرمة على الطلاب وفقراء الناس : الشانزيليزية !. لانه يريـد مخاطبة هذا القطاع من الجمهور : جمهور البورجوازية الكبيرة ؟. لا أحد يدري . ولكن باريس ما تزال ، أعني باريس الحي اللاتيني علـى الاقل ، تنتظر بفارغ الصبر أن ترى الفيلم رغم انه يعرض منذ عام .

لكن لباريس وجها اخر لا بد من معرفته . وللبدء بذلك لا بد من تلمس الطريق . والطريق طويل ومتعرج . وفي زاوية منه تقود الـى بيكاسو ، تبدو للوهلة الاولى وكانها علامة خضراء .

بيكاسو : علامة خضراء ...

بيكاسو ، وهو يقدم لباريس نتاج عامه الحادي والتسعين فـي معرضين متتاليين حوى الاول (١٧٢) لوحة والثاني (١٥٦) لوحة ، وما تزال ثمة لوحات لم يقرر بعد عرضها .او بالاحرى تلك الطـاقـة العبقرية التي لا تكف عن العمل ، تنشر لحظات الحياة ابداعا لا يكف عن التجدد عبر الخطوط والالوان . باريس التي شهدت‌ولادة بيكاسو، رجل القرن العشرين بلا منازع ، تشهد اليوم نتاج السنة السابقـة الذي يسجل يوميات الرجل ، بل لحظاته ، واحدة في اثر اخـرى وكانه لم يخلق الا ليحمل القلم ويجلس او يقف امام اللوحة .

ولكي نتعرف الى بيكاسو في الحادية والتسعين الذي اعتـاد في السنوات الاخيرة الا يتحدث الا عن نفسه رغم أنه يوحي احيانا بانه يتحدث عن اشياء اخرى ـ كما يقو ل(جاك ميشيل) في (اللموند) لابد ان نلقي نظرة على لوحاته ، هذه المائة والاثنتين والسبعين صفحة من الورق التي غدت نوافذ مفتوحة على اعماقه ولا شعوره . « ان اولئـك الذين سيؤرخون لمراحل بيكاسو المختلفة ، لا بد وانهم سيسجلـون ان « المرحلة الايروسية » قد تاكدت في نهاية القرن الاول من حياتـه، لا لكي يستثير رغبات الاخرين ، وانما لكي يقول الحقيقة التي هـي حقيقته الخاصة .

انه دائما امام المراة المنتصرة ، تلك الزهرة البهلوانية التي‌تعـرف السر وتملك مفتاحه ، يقوم بابراز حبيبته وشريكته الشابة ، جنبـا الى جنب مع الجني البصاص المرتعش من مشهدها . الجميلة التي‌يحلم بها ، والوحش الذي يحمله في اعماقه !. ان المدهش ، ان بيكـاسـو رغم انه تجاوز التسعين ، يرسم احلامه بارادة ذاتية لا تعرف‌التغير، ويؤكد ، حين حاجته لذلك ، وضعه كرسام يفكر بالرسم اكثر من اي وقت مضى . فدماغه ويده يكادان ان يكونـا شيئا واحـدا من قوة مـا يربط بينهما . فهل يدهشنا قوله : « انني ارسم الاشياء كما افكرها لا كما اراها ! » . ذلك هوسبب هذه الحرية المتوحشة في الموضوع وفي الاسلوب . فأسرار الحياة التي يندر ان يقدر الانسان على امتلاكها ترقص على رأس ريشته !.

يقول بيكاسو ـ ابن الحادية والتسعين ـ لاصدقائه ان لديـه الكثير بعد مما يريد أن يقوله ، غير انه واثق من ان الزمن الذي‌يحتاجه ليتمكن من القول يتناقص شيئا فشيئا . وهو لذلك يعكف على عملـه، ويقلل بالتدريج من اوقات استقباله للاصدقاء فيما عدا المقربين جـدا منهم كميرو وبينيون وعدد اخر من الرسامـين الاسبـان الذين يستعيد معهم الذكريات القديمة .

زوبعة برتولوتشي :

ولكن لوحات بيكاسو مرت في باريس بهدوء ، كشعاع أخضـر لا يستثير احدا ولا يوقظ احدا . فالرجل بعيد عن المدينة ، يعيش في « موجين » كل يوم على موعد مع أوراقه ، تاركا لوحاته هنـاك ، تقيم حوارا بينها وبين جمهوره .

اما برتولوتشي ، فقد اثار زوبعة لم تهدأ بعد من حوله ومن حول

فيلمه الجديد « تانغو اخير في باريس Dernier Tango à Paris الذي يقوم بدور البطولة فيه مارلون براندو وماريا شنايدر . عشرات المقالات التي تتحدث عن الفيلم ، بعضها يرى فيه فيلما سيحتل في تاريخ السينما مكانة لا تقل عن مكانة « تتويج الربيع» لسترافنسكي في تاريخ الموسيقا ، كما تقول « بولين كيل » في « النيويوركر » ، وبعضها الاخر يرى فيه فيلما نادرا بافضل ما تعنيه كلمة نادر من معان، كما يكتب جان لوباسيك في « سينما ٧٣ » . وثمة عديد من المقابلات والاحاديث افاض فيها برتولوتشي الحديث عن فيلمه الجديد ، وعن عمله في السينما منذ عام ١٩٦٢ ربما كان اهمها ذلك الحديث التي أجرته « ميري آميبل » الذي سانتقل فيما يلي جزءا كبيرا منه :

ـ التانغو الاخير في باريس . لماذا هذا العنوان ؟.

ـ عندما اخترت هذا العنوان كنت أفكر بالانكليزية اكثر مما كنت افكر بالايطالية أو بالفرنسية ولا ادري لماذا . غير انني وجدت تفسيري بعد ذلك عندما قرأت هذه الجملة : « التانغو .. انه طريقة التطور في الحياة » . الا ان المحزن ان كل الاعلانات الفرنسية عن الفيلم حرفت عنواني وجعلته ثقيلا وباردا لمجرد اضافتها (ال) التعريف انه ليس « التانغو الاخير Le Dernier Tango وانما « تانغو اخير Dernier Tango . وايحاء كل منهما مختلف عن الاخر الى حد كبير .

ـ ولماذا باريس ؟.

ـ ذلك لان البورجوازية الفرنسية ، على العكس من البورجوازيات الاخرى كالبورجوازية الايطالية مثلا ، رجعية وتقدمية . وهذا ماينعكس تقريبا في سلوك ماريا ، البورجوازية المستعدة احيانا للافراط في كل شيء . ومن ناحية اخرى ، لاني احب ، كما قال بودلير ، ان « اختفي في ثنايا العواصم القديمة المتعرجة » .

ـ اننا نتلقى أفلامك فنرى فيها اعمالا فنية احسن تحضيرها ، بمعنى انها تبدو لنا بعيدة عن ان تكون وليدة الصدفة . فما الذي تكون عليه اثناء عملية التحضير والصنع ؟.

ـ انني امارس الحرية دوما ضمن اطار مخطط دقيق ومحدد . هذه المرة ، وللمرة الاولى ، كانت الفكرة الرئيسية مني (واعتقد ان ذلك ليس له اية اهمية في السينما . فكثير من اصحاب الاسماء الكبيرة في هوليود لم يكتبوا السيناريو ، ولم يمنعهم ذلك من ان يكونوا مؤلفي افلامهم) . لقد عملنا كثيرا انا وفرانكو اركالي ✶ ، ثم قضيت عشرة ايام كاملة مع مارلون براندو وأردت خلالها ان اعرف ما اذا كنا على اتفاق ، ولقد كنا متفقين . ثم قرأ الممثلون السيناريو وعرفوا ما الذي أنتظره منهم بالضبط . وعندما بدأنا العمل ، كان العمل عملا جماعيا . وكان ذلك في الحقيقة ضروريا جدا . كان بوسع الارتجال أن يحدث مرة اخرى . والحق أنه فيلم ينتمي الى سينما الحقيقة . انه محادثة طويلة مع مارلون وماريا ، من حيث انه في سبيل مشاهد هامة جدا في الفيلم، كالعلاقات الجنسية مثلا ، لم اكن اعرف في البداية اذا كنت ساحققها . ثم انني لاحظت اننا اذا كنا سنبدأ بالتلميح فسيغدو الفيلم مرضيا (بفتح الراء) . لقد حملنا هذا الفيلم شخصياتنا وهلوساتنا . انه فيلم اعتمد كثيرا على التجربة . والحقيقة ان الاخراج كان يتم يوما بعد يوم ، وعلى كل المستويات كنا نمارس الحرية بحثا وعملا .

ـ واسهام مساعديك ومؤلف الموسيقى من منظور الحرية الذي تحدثت عنه ، هل كان يجب ان يكون ملموسا ؟.

ـ السينما عبارة عن اضاءة وموسيقى . انني أحلم بتحقيق فيلم موسيقي بدون اية علامة موسيقية . فالمسالة ايقاع في النهاية . ولا شك ان معاونيّ الذين اشرت اليهم مهمون جدا . انني اعرف باربييري منذ وقت طويل ، وقد التقينا مرة آخرى . فموسيقاه التي تفيدت جيدا من اصولها الشعبية جميلة جدا . اما بالنسبة لستوورارو (مصمم المناظر) فهذا هو الفيلم الثالث الذي اخرجه معه ، وآمل ان نستمر .

ـ قلت ذات مرة ان العنصرين الرئيسيين اللذين يشغلانك هما النور والزمن ...

ـ نعم ، ذلك جوهري . لقد لاحظت ولا شك ان مشاهد الحب بين ماريا ومارلون كانت تبدو وكأنها بدأت منذ زمن طويل . وعندما نلمحهما في احد المشاهد بالقرب من جثة (روزا) نعرف ان ثلاثة ايام فقط مرت على التقائهما في الشقة . وهذا هو المدهش في السينما القدرة على اعادة خلق زمن ديالكتيكي لا هو بالزمن المادي ولا هو بالزمن النفسي . فلكل علاقة انسانية سرية زمنها الخاص . وفي السينما ينزلق الزمن بين الاشياء او بين الناس بسرعة جديدة .

ـ وطريقتك في العزف على ايقاع اللاشعور والفرويدية .. انها اشياء يبدو لي ان الكاثوليك لن يغفروها لك بسهولة ...

ـ هذه المرة فقط تبدّ انطباع ان الكاثوليك تنقصهم حدة الذهن. ان حركية هذا الفيلم حركية كاثوليكية بشكل مطلق . ان مارلون يبحث عن نوع من الزهد لكنه يبحث عنه في ضلال دون ان يكف عن البحث، وهذا نوع من القداسة . اذ انه يحمل في نفسه السر والاصالة معا .

ـ الحقيقة ان فيلمك يبدو يائسا . وبدون ان يكون عدوا للمرأة، فانه لا يظهر (وخاصة في المشاهد الاولى) سوى علاقات جنسية أليمة. انه يطل اما على الموت او على التوحد ...

ـ انه أبسط من ذلك . ولكنه في الواقع فيلم عن السادية ـ الماسوشية . في هذه الفترة من حياتي تصورت فكرة الجنسية كشيء ماساوي . وعلى العكس مما اعتقد الكثيرون من ان هذا الفيلم لن يروق للنساء ، فان النساء في اميركا ، حتى اللواتي ينتمين منهن الى حركة تحرير المرأة احبته جدا . اما بالنسبة للتوحد ، فلن اذهب الى القول انه ليس ثمة علاقة انسانية اصيلة . ولكن لنقل ان كل علاقة انسانية تفترض شرطا هو ان تكون علاقة كافية بنفسها . ولا بد من ايجاد علاقة صحيحة مع اللاشعور ، وتجاوز المظهر العقلاني للاشياء بقبول كلي لهذه العلاقات مع الذات ومع الآخر . والحقيقة ان هذا الفيلم شيء احدث لي . لحظة عشتها بنفسي . قبل ذلك ، وحتى فيلم « الامتثالي Le conformiste كنت اعيش في الماضي ، وكنت قد وصلت الى الحاضر دون ان اصل الى المستقبل بعد . لا تسأليني عن مشاريعي . فانا لا أرى ابعد من اليوم . لقد استغرق انجاز « تانغو أخير في باريس » سنة كاملة . سنة عشنا خلالها قصة حررتنا ، بل حررتني . الان لا اعرف شيئا . يحدث لي احيانا ان اشعر بشيء غريب عندما ارى الناس يخرجون من الصالة التي يعرض فيها فيلمي فأتساءل: لقد كنا بحاجة الى سنة كاملة كيما نصنع الفيلم ، وهم ...لايحتاجون لاكثر من مائة وخمس وعشرين دقيقة ليقبلوه ؟!» .

✶ ✶ ✶

وما يزال برتولوتشي يتابع جمهوره من صالة الى صالة في الصالات الخمس التي تعرض فيلمه في مختلف مناطق باريس ، ثم يختفي كما يختفي بودلير في ثنايا العاصمة القديمة ...

وماذا بعد ؟.. ثمة الكثير في باريس !. ولكن ، ما الذي يمكن ان تتسع له هذه الرسالة لو اردت المضي في محاولة الحديث عن جوانب اخرى من الحياة الثقافية في باريس .. اكبر الظن اني لن انتهي.. واني لن أتمكن من ارسالها بالتالي ...

باريس — بدرالدين عرودكي

✶ شارك برتولوتشي في كتابة السيناريو وقام بمونتاج الفيلم .

الاتحاد السوفياتي

رسالة من برهان الخطيب

قضايا الواقعية

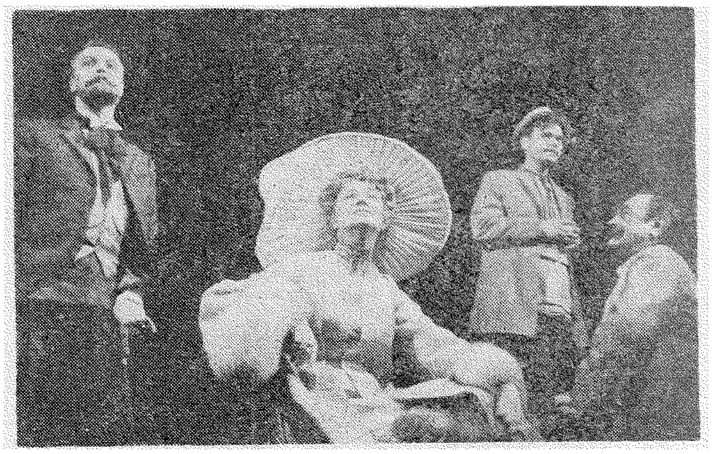

مشهد من مسرحيته تشيخوف « النورس »

عقد في شهر نوفمبر الماضي في باكو عاصمة اذربيجان السوفييتية مؤتمر موسع بدعوة من المجمع العلمي الاذربيجاني ومعهد « نظامي » الادبي . وقد كانت بحوث المؤتمر تدور حول « قضايا الواقعية فيادب الشرق السوفييتي » . وقد شارك في المؤتمر الكثير من الشخصيات الادبية السوفيتية . واتفقت اراء المجتمعين حول تقسيم الواقعية الى مراحل ، ثم جرى الحديث عن مراحل ثلاث تم فيها تطورالواقعية في ادب الشرق السوفييتي تكللت بوضوح ملامح وتقاليد هذه المدرسة في اداب شعوب الشرق السوفييتي على اختلاف هذا النضوج بين شعب واخر . وجرت في المؤتمر محاولة لتحديد اخر التطورات التي وصلت اليها الواقعية الاشتراكية . وقد قال الاكاديمي دادا شزاده ان الواقعية كظاهرة فنية تتسم بطابع قومي خاص بالبلد الذيتنموفيه وان عملية صيرورتها في اداب الشعوب يميزها ظهور ملامح متفردة لا تتكرر ابدا وهذا ما يجب أن ياخذه الباحثون بنظر الاعتبار وهو بالذات ما لم يوجه له الانتباه بالقدر الكافي . وعرض بعض الخطباء في كلماتهم (امثال خايتميتوف ، غوليزاده) تأثير الثقافة الشرقية على تقاليد الواقعية الانتقادية عند شعوب الشرق السوفييتي ،مشيرين بالذات الى الفردوسي ، نظامي ، روستافيلي ، فيزولي .

عن فوزنيسنسكي

قيل عن الشاعر اندريه فوزنيسنسكي انه « يفكر بنظرة » . ومن المعروف ان هذا الشاعر يشغل مكانة كبيرة في الشعر السوفييتي المعاصر . وقد كتب الناقد فاليري ديمنتيف مؤخرا تقييما وتحليلا لديوان فوزنيسنسكي الجديد « نظرة » مضيفا : ان هذا الشاعر لا يفكر بنظره حسب بل ويسمع بهايضا . وباعتقاد الشاعرفوزنيسنسكي ان الشعر الجديد هو تركيب رؤيوي وسمعي وان هذا هو اساسالوعي الفني المستقبلي . وقد وجد الناقد ديمنتيف ان فوزنيسيكي ينطلق في تكوين شعره اعتمادا على جمعه الوانا وظلالا متضادة (متقاطبة) تماما في وحدة متجانسة واحدة هي جوهر العملية الديالكتيكية .ومن الملاحظ ان لغة فوزنيسنسكي على الرغم من تعقيدها الشديد تظل لغة شعرية شفافة موحية تطاوعها مخيلة القارىء بسهولة ويسر .

روايتان جديدتان

رواية فلاديمير جوكوف « قصة المركب هيفو » تدور حوادثها في المحيط الهادي اثناء الحرب العالمية الثانية . بطلها سيرجي لانوشوف شاب له من العمر سبعة عشر عاما يعيش حياة صعبة بعد فقدانه اياه الا انه رغم ذلك يواجه كل شيء بصلابة . ومن خلاله يؤكد المؤلف ان بطولة الفرد هي تاكيد الذات الصحي من خلال المجموع ، بتحققها فيه . والرواية نفسية ـ اجتماعية تقرا بشغف ومتعة بسبب بنائها المكثف الذي يعتمد على ملاحظات المؤلف الدقيقة وابحاثه . وقد نالت رضى بعض النقاد على الرغم من الصرامة التي اخذوا يتعاملون بها مؤخرا مع الاعمال الفنية التي تصدر عن دور النشر .

وكتب نيقولاي تيخونوف قصة طويلة جديدة بعنوان «كافالكادا » ـ الركب ، او جماعة الفرسان ـ تدور حوادثها في جبال القفقاس . والقصة منذ بدايتها وحتى نهايتها تعتمد الحرب مادة لها . اما عملية القص فتجري كلها بلسان الضمير الاول ـ اصبح استعمال هذا الضمير في عملية القص مودة جديدة في الادب السوفييتي ـ ابطالها اخصائي بالري (تيرنتيف) واخر اخصائي بتربية الدواجن(سافار) ثم شخص ثالث باسم كيوزيلي . تقوم مجلة (زناميا) الان بنشر هذه القصة كاملة على صفحاتها .

رسول حمزاتوف

رسول حمزاتوف شاعر سوفييتي معروف ينتمي الى قوميةصغيرة من القوميات السوفييتاتية ليس لها من تاريخ ثقافي يذكر في مجال الحياة الادبية ، الا انه على الرغم من ذلك استطاع هذا الشاعر ان يفرض اسمه على ملايين القراء في فترة قصيرة نسبيا ، واذاسالت عن سر هذا النجاح فهو يكمن في طبيعة المواضيع التي يتناولها وكيفية معالجته لها . لقد درس هذا الشاعر كل ما يختص بماضي شعبه من تراث وتقاليد وفولكلور واديان واستطاع ان يهضم كل هذا ويستوعب دوره التاريخي باعتباره « مغني داغستان» الذي لا ينازع وبذلك كان شعره غاية في الثراء ، تجد فيه روح وجسد الوطن مثلما تجد فيه روح الشاعر نفسه ، انهما يمتزجان هنا ويصبحان حقيقة واحدة . وقد اصدرت دار نشر « نوقي مير » له ديوانا شعريا جديدا ، هو الثاني ، تحت عنوان « بلدي داغستان » يمكن اعتباره هوية صادقة شخصية هذا البلد الذي ينتميإليهالشاعر والذي منحه هذا الصوت الدافيء ليكون سفيرا له عند ملايين القراء . وحازالديوان على اعجاب النقاد واطرائهم جميعا .

الادب الوثائقي

يعار كثير من الانتباه في الاتحاد السوفييتي الى « الادب الوثائقي » ذلك النوع من القصة او الرواية او حتى الشعر الذي يعتمد حادثة تاريخية معينة كموضوع لعملية الخلق الفني . وفي الفترة الاخيرة لوحظ ازدياد الاقبال على هذا النوع من الادبوالفن، فحتى في السينما هناك تيار خاص يهتم بافلام التصوير الوثائقي وتوجد هنا دور خاصة لعرض الافلام الوثائقية والتاريخية .ومن ناحية القصص والروايات الوثائقية فهي تصدر باستمرار ، حاملةموضوعها الذي التقطته من صفحات التاريخ ، وتعرض جوانب جديدة من حدثها المتناول فتضيء ماكان خافيا منه وتستكمل التفاصيل الناقصةعنطريق التخيل الفني المرتبط بالحقيقة الواقعة . واخر ماصدر في هذا المجال رواية الكاتب الارمني ميخائيل شاتيريان الموسومة « وحكاية

عن نخلة » التي تدور حوادثها في مدينة باكو ايام التدخل الاجنبي المسلح لدعم قوى الردة التي تصدت لثورة اكتوبر . اما الحدث الرئيسي فيها يتناول مصير البولشفيكيين الباكويين الستة والعشرين الذين اعدمتهم الرجعية في باكو انذاك . وقد عرض الكاتب احداث تلك الايام وكأنها تجري امام عينيك وانت تقرأ بصدق فني مرتبط بتاريخ تلك الفترة ارتباطا وثيقا . الا ان الرواية على الرغم من ذلك سقطت في بعض الهفوات . اذ كانت عملية القص تتحول احيانا الى ريبورتاج سريع جاف اللغة ، خال من الالوان . وصدرت هذه الرواية في يرفان عاصمة ارمينيا السوفييتية عن دار نشر اياستان .

اخبار ادبية

افتتح في العاصمة السوفييتية تمثال ضخم يمثل الكاتب الروسي الاشهر ليف تولستوي مؤلف « اناكارينيا » التي حولت مؤخرا الى باليه جرى عرضها في البولشوي تياتر . قام بدور انا الراقصة الروسية البارعة مايا بليستسكايا التي تعتبر من اشهر راقصات الباليه في العالم . وقد كان انتظار يوم الافتتاح حافلا بالتكهنات والمخاوف خشية فشل تقديم « تولستوي » على مسرح الباليه الا ان العرض جاء ناجحا كنس كل مخاوف المتحفظين . وكانت موسيقى رودبون شيدين آية في الروعة .

● تطبع مجلة « الرواية المجلة » مليون ونصف نسخة من كل عدد من اعدادها الاسبوعية التي تقدم فيها كل مرة عملا ادبيا واحدا لكاتب من الكتاب . آخر ما صدر في هذه السلسلة رواية الكاتب البرازيلي المعرف اريكو فيرسيمو « الاسير » . والكاتب اريكو مشهور جدا في البرازيل كتب حتى الان ٢٦ رواية . اثنان منها « السيد السفير » و « الاسير» مكرسة لمشاكل عصرنا الراهن . والكاتب ظل لفترة طويلة مبتعدا عن السياسة لا يخوض فيها حتى كتب روايته «الاسير» التي اعلن نفسه فيها عدوا للحرب والعنصرية فاضحا فيها سياسة الولايات المتحدة في عدوانها على فيتنام . حدث الرواية يجري بتوتر عنيف ، مركز ، واحد ، دراماتيكي ، وخلال ساعات معدودة قليلة ـ استجواب اسير فيتنامي ، هذا هو حدث الرواية ـ وتبلغ الرواية الذروة عندما يهتف احد ابطال الرواية (طبيب امريكي) قائلا : كلنا هنا قتلة طوعا جئنا ام بالجبر ! وقد استقبل النقاد والقراء هذه الرواية بالاستحسان .

● يواصل مسرح « مخات » الموسكوفي عرض مسرحية تشيخوف « النورس » بنجاح منقطع النظير الى جانب باقي المسرحيات الروسية القديمة الاخرى . ولا يكاد يمضي اسبوع واحد او اسبوعان حتى يعاد عرض هذه المسرحية من جديد . في الصورة يبدو الممثلون: غوبانوف ، ستيبانوفا ، الكسيف ، بولدومان يقومون بادوار بريغورين، اركادينا ، ميدفيدنكو ، شامرايف .

● ترجمت الى الروسية قصة « ازهار نوفمبر » للكاتب الجزائري قدور مهامساجي (١٩٣٣) ونشرت في مجلة « ازرو بيجنايا ليتراتور» والمعروف ان الكاتب الجزائري قدور يكتب بالفرنسية وكانت قد ترجمت له الى الروسية مجموعته الشعرية « نعم ، يا بلدي الجزائر » . كذلك ترجمت الى الروسية قصة الكاتب المصري ادوار خراط (١٩٢٠) المحطة التي كان قد نشرها ضمن مجموعته المسماة « الجدران العالية » عام ١٩٦٨ ونشرت في نفس المجلة في عددها الصادر في نوفمبر الذي حوى ايضا اخبارا ادبية متفرقة من العراق ولبنان والمغرب .

● يوري بونداربيف كاتب مشهور في الاتحاد السوفيتي وخارجه. كتب عدة روايات ناجحة تدور معظمها حول الحرب . حولت اخر رواياته « الثلج الساخن » الى فلم سينمائي ملون . هذا وقد انتهى الكاتب العراقي غايب طعمه فرمان من وضع اللمسات الاخيرة على ترجمته العربية لهذه القصة والمعروف انها تترجم للغة الضاد لاول مرة .

موسكو — **برهان الخطيب**

ملفات « الآداب » الخاصة

قررت « الآداب » ، كما سبق ان أعلنت ، ان تصدر ملفات خاصة تضمّ الى الاعداد العادية ، وتتضمن مادة ضافية من نتاج كل بلد عربي في مختلف الفنون الادبية (شعر ، قصص ، مسرح ، نقد ، بحث) . وستصدر هذه الملفات تباعا ، كلما توفرّت المادة الكافية ، عن ادب كل من البلدان العربية الآتية : الجزائر ، السودان، المغرب، البحرين، الكويت، ليبيا الخ . . . كما تصدر ملفات خاصة اخرى عن الآداب السوفياتية ، الفرنسية ، الصينية ، الايطالية ، ادب اميركا اللاتينية ، الادب الافريقي الحديث . .

وتعدّ « الآداب » العدّة لاصدر اعداد خاصة عن « القصة العربية الحديثة » ،و « اتجاهات المسرح العربي الحديث » و « الفنون التشكيلية العربية » الخ . . .

والادباء مدعوون الى المشاركة في تحرير هذه الملفات والاعداد الخاصة التي ستكون ، من غير شك، وثائق ادبية ومراجع هامة لكل اديب ودارس .